وصايا رمضانية (2)

وصايا خاصة بالأئمة وصلاة التراويح والوتر

الشيخ ندا أبو أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصايا رمضانية

(2)

وصايا خاصة بصلاة التراويح

وصايا خاصة بصلاة الوتر

وصايا خاصة بالأئمة

الشيخ/ندا أبو أحمد

وصايا خاصة بصلاة التراويح، والوتر، والأئمة

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

وصايا خاصة بصلاة التراويح، والوتر، والأئمة

أولًا: الوصايا الخاصة بصلاة التراويح:

الوصية الأولى: لا تترك صلاة التراويح في أول ليلة من ليالي رمضان.

الوصية الثانية: لا تترك صلاة التراويح بالكلية.

الوصية الثالثة: لا تترك صلاة التراويح في جماعة في المسجد وتأديها في البيت.

الوصية الرابعة: لا تمنع النساء من حضور صلاة التراويح في المسجد.

الوصية الخامسة: لا تقصد مساجد معينة للصلاة فيها من أجل جمال الصوت فقط وحسن النبرة.

الوصية السادسة: تعلم كيفية الفتح على الإمام إذا التبست عليه القراءة.

الوصية السابعة: لا ترفع الصوت بالبكاء في الصلاة.

الوصية الثامنة: لا تصلي التراويح والقيام مع الكسل وغلبة النوم.

الوصية التاسعة: لا تنصرف من المسجد قبل أن ينصرف الإمام من الصلاة.

الوصية العاشرة: إذا قمت إلى الصلاة في الليل فأطل القيام.

الوصية الحادية عشر: لا تترك قيام الليل بعد رمضان.

ثانيًا: الوصايا الخاصة بصلاة الوتر:

الوصية الأولى: لا تترك صلاة الوتر عمدًا.

الوصية الثانية: لا تكرر الوتر في ليلة واحدة.

الوصية الثالثة: لا توتر بثلاث ركعات بتشهدين.

الوصية الرابعة: لا تترك التسبيح والدعاء الوارد بعد الوتر.

ثالثًا: الوصايا الخاصة بالأئمة:

الوصية الأولى: لا تتغنى بالقرآن في الصلاة كما يُتغنى بالألحان.

الوصية الثانية: إياك والتَّنطُّع بالقراءة والوسوسة في مخارج الحروف.

الوصية الثالثة: لا تنقر صلاة التراويح.

الوصية الرابعة: اهتم بالكيف ولا تنشغل بالكمِّ.

الوصية الخامسة: لا تتعمد رفع صوتك بالبكاء.

الوصية السادسة: لا تتاجر بالقرآن في شهر رمضان.

الوصية السابعة: لا تطل القيام... وتفرط في باقي أركان الصلاة.

الوصية الثامنة: إياك والتغنّي في دعاء القنوت.

الوصية التاسعة: إياك والاعتداء في الدعاء.

الوصية العاشرة: إياك والصراخ في الدعاء.

الوصية الحادية عشر: إياك والتطويل الزائد في دعاء القنوت.

خطأ يقع فيه بعض الأئمة:

أولًا: الوصايا الخاصة بصلاة التراويح:

الوصية الأولى: لا تترك صلاة التراويح في أول ليلة من ليالي رمضان:

بعد انتهاء شهر شعبان ورؤية هلال رمضان، ومع أول ليلة فيه تجد أن المساجد مهجورة، وكأن هذه الليلة ليست من رمضان، في حين أننا نجد الأسواق معمورة والزحام شديد، فتضيع صلاة التراويح ويضيع معها الأجر العظيم. وربما حرم هذا المسكين نفسه أن يكون من عتقاء الله في هذه الليلة.

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا كان أولُ ليلةٍ من شهرِ رمضانَ صُفِّدَتِ الشياطينُ ومَرَدةُ الجنِّ، وغُلِّقتْ أبوابُ النارِ فلم يُفتحْ منها بابٌ، وفُتِّحَتْ أبوابُ الجنةِ فلم يُغلقْ منها بابٌ، ويُنادي منادٍ كلَّ ليلةٍ: يا باغيَ الخيرِ أقبلْ، ويا باغيَ الشرِّ أقْصرْ، ولله عتقاءُ من النارِ، وذلك كلَّ ليلةٍ ". (صحيح الجامع: 759)

الوصية الثانية: لا تترك صلاة التراويح بالكلية:

إن هذا الشهر العظيم غنيمة لكل مسلم يريد أن يعتق الله رقبته من النار، ولذا فإن النبي ﷺ رغَّب في قيام هذا الشهر، فقال:" من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه ". (البخاري ومسلم)

ولكننا نجد أن أكثر الناس ينشغلون عن تلك العبادة العظيمة بمشاهدة التلفاز، والذهاب إلى المسارح وأماكن الغناء.. ولا حول ولا قوة إلا بالله. وكل ذلك لأنهم يعتقدون أن شهر رمضان لا يعني إلا الامتناع عن الطعام والشراب بالنهار، ثم الانغماس في المعاصي والملذات بالمساء.

مع أن النبي ﷺ قال:" إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة- يعني في رمضان- وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة ". (رواه الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع:2169)

فليغتنم المسلم ليل رمضان في طاعة الرحمن ليكون من عتقائه من النيران، ويفوز بالروح والريحان في أعالي الجنان.

الوصية الثالثة: لا تترك صلاة التراويح في جماعة في المسجد:

وإن كان يجوز أن تُصلَّى صلاة التراويح في البيت، ولكن المستحب أن تصلَّى صلاة قيام الليل في رمضان جماعة في المسجد، وهذه سنة سنها لنا النبي ﷺ وأحياها عمر بن الخطاب ﷺ.

فقد أخرج أبو داود من حديث أبي ذرٍّ الغفاري ﷺ قالَ: صُمنا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ رمضانَ فلم يقُم بنا شيئًا منَ الشَّهرِ حتَّى بقِيَ سبعٌ فقامَ بنا حتَّى ذَهبَ ثلثُ اللَّيلِ فلمَّا كانتِ السَّادسةُ لَم يقم بنا فلمَّا كانتِ الخامسةُ قامَ بنا حتَّى ذَهبَ شطرُ اللَّيلِ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! لو نفَّلتَنا قيامَ هذِهِ اللَّيلة. قالَ فقالَ: إنَّ الرَّجلَ إذا صلَّى معَ الإمامِ حتَّى ينصرِفَ حُسِبَ لَهُ قيامُ ليلةٍ. قالَ: فلمَّا كانتِ الرَّابعةُ لم يقُم فلمَّا كانتِ الثَّالثةُ جمعَ أَهلَهُ ونساءَهُ والنَّاسَ فقامَ بنا حتَّى خشِينا أن يفوتَنا الفلاحُ. قالَ قلتُ وما الفلاحُ قالَ السُّحورُ ثمَّ لم يقم بقيَّةَ الشَّهرِ ". (صحيح أبي داود: 1375)

وثبت في مصنف ابن أبي شيبة من حديث النعمان بن بشير ﷺ قال:" قمنا مع رسول الله ﷺ ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان إلى ثلث الليل الأول، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم قام بنا ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح، قال: وكنا ندعو السحور الفلاح ". (صححه الألباني)

– وقد ثبت نحو هذا من حديث أنس وعائشة وحذيفة –رضي الله عنهم–.

وأخرج البخاري تعليقًا ووصله الإمام مالك وغيره بسند صحيح عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال:" خَرَجْتُ مع عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ لَيْلَةً في رَمَضَانَ إلى المَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ؛ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، ويُصَلِّي الرَّجُلُ فيُصَلِّي بصَلَاتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: إنِّي أرَى لو جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ علَى قَارِئٍ واحِدٍ، لَكانَ أمْثَلَ. ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمعهُمْ علَى أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ﷺ ...".

وبيَّن النبي ﷺ في الحديث السابق فضل صلاة الناس جماعة مع الإمام فقال:" مَن قام مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة ". (رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وهو في صحيح الجامع: 1615)

ولذلك قال الإمام أحمد–رحمه الله–: يعجبني أن يُصلي مع الإمام ويوتر معه.

وسُئل–رحمه الله–: يؤخر القيام –يعني التراويح– إلى آخر الليل؟ قال: لا. سنة المسلمين أحب إليَّ ". (يعني يصلِّي في المسجد مع الإمام أفضل من كونه يصلِّي بمفرده).

الوصية الرابعة: لا تمنع النساء من حضور صلاة التراويح في المسجد:

فللمرأة أن تأتي للمسجد للصلاة في رمضان وفي غيره، إذا أُمنت الفتنة.

وذلك للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– قال:" كانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ[1] تَشْهَدُ صَلاةَ الصُّبْحِ والعِشاءِ في الجَماعَةِ في المَسْجِدِ، فقِيلَ لَها: لِمَ تَخْرُجِينَ وقدْ

1– وزوجة عمر ﷺ هي عاتكةُ بِنتُ زَيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيْلٍ.

تَعْلَمِينَ أنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذلكَ ويَغارُ؟ قالَتْ: وما يَمْنَعُهُ أنْ يَنْهانِي؟ قالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ:" لا تَمْنَعُوا إماءَ اللَّهِ مَساجِدَ اللَّهِ ".

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أحَدِكُمْ إلى المَسْجِدِ فلا يَمْنَعْها ".

والمرأة تحتاج أن تتزود بالطاعة خصوصًا في رمضان حيث الجمع الكثير المعين على فعل الخير، وطول القيام خلف إمام متقن؛ لتتدبر القرآن ويخشع قلبها للواحد الديَّان وتزداد بذلك إيمانًا.

– ومما يدل على جواز حضور النساء لصلاة التراويح:

ما أخرجه الترمذي وأبو داود من حديث أبي ذرٍّ الغفاري ﷺ قالَ:" صُمنا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ رمضانَ فلم يقُم بنا شيئًا منَ الشَّهرِ حتَّى بقِيَ سبعٌ فقامَ بنا حتَّى ذَهبَ ثلثُ اللَّيلِ، فلمَّا كانتِ السَّادسةُ لَم يقم بنا، فلمَّا كانتِ الخامسةُ قامَ بنا حتَّى ذَهبَ شطرُ اللَّيلِ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! لو نفَّلتَنا قيامَ هذِهِ اللَّيلة. فقالَ:" إنَّ الرَّجلَ إذا صلَّى معَ الإمامِ حتَّى ينصرِفَ حُسِبَ لَهُ قيامُ ليلةٍ". قالَ: فلمَّا كانتِ الرَّابعةُ لم يقُم، فلمَّا كانتِ الثَّالثةُ جمعَ أَهلَهُ ونساءَهُ والنَّاسَ فقامَ بنا حتَّى خشِينا أن يفوتَنا الفلاحُ. قلتُ له: وما الفلاحُ؟ قالَ السُّحورُ"، ثمَّ لم يقم بقيَّةَ الشَّهرِ ". (صحيح أبي داود: 1375)

الشاهد من الحديث قوله:" فلمَّا كانتِ الثَّالثةُ جمعَ أَهلَهُ ونساءَهُ والنَّاسَ فقامَ بنا..".

– وفي رواية عند النسائي:" فلمَّا بقيَ ثلثٌ منَ الشَّهرِ أرسلَ إلى بناتِه ونسائِه وحشدَ النَّاسَ فقامَ بنا..".

وأخرج الترمذي من حديث زينب بنت أم سلمة قالت: لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحدا من أهله يطيق القيام إلا أقامه ".

وأخرج البخاري عائشة–رضي الله عنها– قالت:" كانَ النبيُّ ﷺ إذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وأَحْيَا لَيْلَهُ، وأَيْقَظَ أهْلَهُ ".

ووجه الدلالة من الأحاديث السابقة أن النبي ﷺ في العشر الأواخر من رمضان يكون معتكفًا في المسجد، وفي هذا دلالة على حضور النساء صلاة التراويح.

ويتأكد استحباب حضور المرأة لصلاة التراويح في المسجد لمن لا تنشط للصلاة في بيتها، أو من لا تحفظ شيئًا من القرآن، أو لا تجيد القراءة، ولكن يشترط ألا يصحب حضورها محظور شرعي، وأن

تخرج بحجابها، ولا تلبس لباس الزينة، ولا تتطيب، وأن يكون خروجها آمنًا، وأن تكون في منأى عن الرجال.

ومما يدل على حضور النساء لأداء صلاة التراويح في المسجد: أن عمر بن الخطاب ﷺ جعل على الرجال في صلاة التراويح أُبي بن كعب، وعلى النساء سليمان بن أبي حثمة، وكذلك فعل عليّ بن أبي طالب ﷺ".

الوصية الخامسة: لا تقصد مساجد معينة للصلاة فيها من أجل جمال الصوت فقط:

ولا بأس أن يُقبل الناس على صاحب الصوت الحسن، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا، لكن من الناس من يتتبع المساجد لمجرد أن الإمام صوته حسن وهذا خطأ، إنما ينبغي أن يكون الاستلذاذ بسماع كلام الله وفهمه أكثر من الاستلذاذ بسماع صوت القارئ ولحنه، لكن تجد بعضهم يتفاعل ويتأثر بالصوت والألحان أكثر مما يتفكرون في المعاني، فيذهبون إلى الشيخ الفلاني لمجرد أن صوته جميل

وهذا الفعل فيه عدة محاذير منها:

1- أن الشارع نهى عن هذا الفعل.

فقد أخرج الطبراني في" الكبير" عن ابن عمر-رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:" ليُصلِّ الرجل في المسجد الذي يليه ولا يتبع المساجد". (انظر فيض القدير: 392/5)

قال ابن القيم-رحمه الله- في" إعلام الموقعين:310/3"عند الكلام عن الأدلة على منع فعل ما يؤدي إلى الحرام ولو جائزًا في نفسه: إن الشارع نهى الرجل أن يتخطَّى المسجد الذي يليه إلى غيره كما جاء في الحديث (وذكر ابن القيم الحديث السابق)، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى هجر المسجد الذي يليه، وإيحاش صدر الإمام، أما إن كان الإمام لا يُتم الصلاة أو يُرمَى ببدعة، أو يعلِن بفجور فلا بأس بتخطيه إلى غيره ". اهـ

2- ويؤدي تتبع المساجد من أجل الصوت الحسن فقط إلى الذهاب إلى مسجد بعيد في بعض الأحيان، وهذا يؤدي بدوره إلى ضياع الأوقات، ولو صرف هذا الوقت في التقدم إلى مسجده المجاور والحرص على الصف الأول وتكبيرة الإحرام؛ لكان في ذلك من الأجر أضعاف أضعاف ما يطلب.

3- من المحاذير في هذا الفعل أنه يفتقد الالتقاء بجيرانه وجماعة المسجد.

4- الذهاب إلى صاحب الصوت الحسن وكثرة من يُصلِّي خلفه ربما يؤثر في نفس الإمام أو يقع عنده الرياء.

– بل هناك خطأ جسيم يقع فيه بعض المسلمين، حيث يقدمون صاحب الصوت الحسن على غيره من أهل العلم والفقه، وما ذاك إلا ليطربهم بالصوت الحسن، وقد حذر النبي ﷺ من هذا.

فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري في "التاريخ" والبيهقي في "الشعب" عن يزيد عن شريك عن أبي اليقظان عثمان بن عمير، عن زاذان أبي عمر عن عُليم قال:" كنا على سطحٍ ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد: لا أعلمه إلا قال عابس الغفاري . فرأى الناس يخرجون في الطاعون، قال: ما هؤلاء؟ قال: يفرون من الطاعون، فقال: يا طاعون خُذني، فقالوا: أتتمنى الموت، وقد سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: لا يتمنين أحدكم الموت؟ فقال: إني أبادر خصالًا سمعت رسول الله ﷺ يتخوَّفُهن على أمته: بيعُ الحكم، والاستخفاف بالدم، وقطيعةُ الرحم، وقوم يتخذون القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناءً، وذكر خلتين آخرتين ".

(صححه الشيخ أبو إسحاق الحويني في فضائل القرآن لابن كثير ص:197)

– وفي رواية بلفظ:" بادروا بالأعمال خصالًا ستًا: إمْرَةَ السفهاء، وكثرةَ الشُّرَطِ، وقطيعة الرحم، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدم، ونَشْوًا يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم، ما يقدمونَهُ إلا ليُغَنِّيهم ". (السلسلة الصحيحة:672/2)

- وقد بيَّن النبي ﷺ من هو أحسن الناس صوتًا:

فقد أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن طاووس–رحمه الله– قال:" سُئل رسول الله ﷺ أي الناس أحسن صوتًا بالقرآن؟ فقال: الذي إذا سمعته رأيته يخشى الله ".

– وسُئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله– عن حكم تتبع الأئمة الذين في أصواتهم جمال:

فأجاب فضيلة الشيخ: أرى أنه لا بأس في ذلك، لكن الأفضل أن يُصلِّي الإنسان في مسجده لأجل أن يجتمع الناس حول إمامهم وفي مساجدهم، ولأجل ألا تخلو المساجد من الناس، ولأجل ألا يكثر الزحام عند المسجد الذي تكون قراءة إمامه جيدة، فيحدث من هذا ارتباك، وربما يحدث أمر مكروه؛ ولهذا نحن نرى أن الإنسان يبقى في مسجده لما في ذلك من عمارة المسجد وإقامة الجماعة فيه، واجتماع الجماعة على إمامهم والسلامة من الزحام والمشقة.

الوصية السادسة: تعلم كيفية الفتح على الإمام إذا التبست عليه القراءة(1):

فتجد في صلاة التراويح أو التهجد إذا أخطأ الإمام أو توقَّف قليلًا ليأخذ نَفَسَهُ أن مَن خلفه ومَن على أطراف الصفوف وخلفها يفتحون عليه، ويحدث ضجيج وتشويش على الإمام ولا يُفْهَم شيءٌ، فعلينا أن نفهم فقه الفتح على الإمام حتى لا نقع في خطأ.

ومن المعلوم أن جمهور أهل العلم استحبوا الفتح على الإمام وذلك للأدلة التالية:

– ما أخرجه أبو داود عن المسور بن يزيد الأسدي ﷺ قال:" شهدت رسول الله ﷺ يقرأ في الصلاة فترك شيئًا لم يقرأه، فقال له رجل: يا رسول الله! تركت آية كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: هلا أذْكَرْتَنِيها".

– وأخرج أبو داود أيضًا وابن حبان عن ابن عمر–رضي الله عنهما–:" أن النبي ﷺ صلَّى صلاة فقرأ فيها فلُبس عليه، فلما انصرف قال لأُبَيّ: أصليت معنا؟ قال: نعم، قال: ما منعك؟ ". (أي ما منعك أن تفتح عليّ)

قال الشوكاني –رحمه الله– كما في" نيل الأوطار:373/2":" والأدلة قد دلت على مشروعية الفتح مطلقًا، فعند نسيان الإمام الآية في القراءة الجهرية يكون الفتح عليه بتذكيره تلك الآية كما في حديث الباب، وعند نسيانه لغيرها من الأركان يكون الفتح بالتسبيح للرجال والتصفيق للنساء. اهـ.

تنبيهات:

1– ينبغي ألا يُفتح على الإمام مادام يُردِّد التلاوة، لأنه ربما تذكر بنفسه فهو أولى.

2– لا يفُتح على الإمام إذا سكت ولم يتردد في القراءة إلا إذا تأخر في سكوته، لأنه يحتمل أن يكون تفكر قليلًا فيما يقرأ.

3– لا يُفتح على الإمام إذا أخطأ في القراءة ما لم يكن خطأ يغير المعنى، وعليه فلا ينبغي تلقينه إلا إذا كان خطؤه محيلًا للمعنى، ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن أُبَي بن كعب ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إني أُقرئت القرآن على سبعة أحرف ليس منها إلا شافٍ كافٍ، إن قلت غفورًا رحيمًا، أو قلت سميعًا عليمًا، أو قلت عليمًا سميعًا فالله كذلك ما لم تُخْتم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب ".

4– لابد أن تتوافر بعض الشروط فيمن يفتح على الإمام وهي:

1– عودوا إلى خير هدي؛ لفضيلة الشيخ/ محمد إسماعيل المقدم–حفظه الله– ص 59.

أ– الذكورة: فالمرأة لا يجوز لها أن تفتح على الإمام إذا صلَّت خلف الرجال؛ وذلك للحديث الذي أخرجه البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال:" إذا نابكم أمر فليُسبِّح الرجال، وليُصَفِّح النساء ".

– وصَفَّح بيديه: أي صَفَّق، وهي هكذا في بعض الروايات: " وليُصَفِّق".

وعند أبي داود:" التَّسبِيح للرجال والتَّصفِيق للنساء ".

ب– الإخلاص: أي يبتغي بالفتح على الإمام وجه الله تعالى، مخلصًا له الدين، وأن يحرس نيته من الرياء، ويصونها من السمعة، ولا يكن همه أن يُقال: "هو قارئ" فيحبط عمله.

جـ– أن يكون قريبًا من الإمام، واضح الصوت مسموعًا:

أما مَن كان بعيدًا، ويعلم أن الإمام لا يسمع صوته، فلا.

د– أن يكون شخصًا واحدًا: أما ما يحصل من بعض المُتعجِّلين الذين يتسابقون إلى الرد بأصوات عالية مختلطة، فيحصل التشويش من كل جهات المصلين، ولا يستوعب الإمام ما ينطقون، فهذا لا يليق بحرمة الصلاة، ولا بآداب المسجد، فليحرص كل مأموم على أن يتأنَّى، وليودَّ أن غيره كفاه.

هـ– إذا كان الإمام قارئًا مجيدًا متقنًا، على دراية بالقراءات، فليس للمأموم أن يصحح له:

إلا إذا علم يقينًا أن الحرف الذي يرى أن الإمام أخطأ فيه، ليس حرفًا متواترًا، أو علم أن الإمام لا يعرف إلا قراءة واحدة من القراءات المتواترة وأخطأ فيها.

و– أن يكون حافظًا جيد الحفظ لما يفتح فيه على الإمام، خبيرًا بالمتشابهات اللفظية، متيقنًا من خطأ الإمام: وإلا فإن بعضهم ينازع الإمام ويعوقه، ويفسد عليه قراءته الصحيحة، ويكون المأموم هو المخطئ.

ز– ألا يُبادر إلى الفتح على الإمام إذا سكت: إلا إذا تأكد أن سكوته بسبب النسيان، فقد يسكت الإمام عند آية رحمة أو آية عذاب، أو أمر بتسبيح، أو استغفار، أو تَعوُّذ... ونحو ذلك، وقد تأخذه سعلة[1]، أو يسكت ليبلع ريقه، أو ليسترد نَفَسَهُ، ففي كل هذه الحالات ينبغي إمهاله وعدم تعنيته.

الوصية السابعة: لا ترفع الصوت بالبكاء في الصلاة:

فترى في صلاة التراويح ترتفع أصوات البعض بالنحيب، والنشيج، والتكلف في ذلك لدرجة تصل إلى الصراخ والعويل، وهذا مخالف لمنهج وهدي النبوة، بل كان هدي النبي ﷺ في البكاء أنه كان يكتمه فيسمع لصدره أزيز، كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال:

" أتيت النبي ﷺ وهو يُصلِّي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل".

1– السعلة: الكحة أو الشرقة.

- وكان بكاء السلف في صلاتهم أو في غيرها لا صياحًا ولا صراخًا، بل ربما يبكي أحدهم وتسيل الدموع ولا يعرف بحاله من هو بجانبه، فكانوا أحرص الناس على الإخلاص وعدم الرياء.

جاء في كتاب "صفوة الصفوة:239/3"عن حسان بن أبي سنان–رحمه الله–: أنه كان يحضر مجلس مالك بن دينار، فإذا تكلَّم مالك بكى حسان حتى يبل ما بين يديه، لا يُسمع له صوت.

وذكر ابن الجوزي–رحمه الله– في "تلبيس إبليس ص: 202" آثار تدل على هذا المعنى:

فعن عاصم–رحمه الله قال–: كان أبو وائل إذا صلَّى في بيته نشج[1]نشيجًا، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله ".

وكان أيوب السَّختِياني–رحمه الله–: إذا غلبه البكاء قام، وكان إذا وعظ فرقَّ، فَرَقَ (خاف) من الرياء؛ فيمسح وجهه، ويقول: ما أشد الزكام!". (المدهش لابن الجوزي) (تلبيس إبليس ص: 202)

وعن محمد بن زياد–رحمه الله– قال: رأيت أبا أمامة ﷺ أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو ربه، فقال أبو أمامه: أنت أنت! لو كان هذا في بيتك؟!".

وعن الحسن–رحمه الله–: أنه وعظ يومًا، فتنفّس رجل في مجلسه، فقال الحسن: إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك، وإن كان لغير الله فقد هلكت ". (تلبيس إبليس ص 362)

يقول محمد بن واسع –رحمه الله–: "أدركتُ رجالًا، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خدِّه من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركتُ رجالًا يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعه على خدِّه ولا يشعر به الذي إلى جنبه ".

وكان ابن الجوزي–رحمه الله– يقول: وقد لبَّس إبليس على قوم من المتعبدين، وكانوا يبكون والناس حولهم، وهذا قد يقع عليه، فلا يمكن دفعه، فمن قدر على ستره، فأظهره فقد تعرض للرياء ". اهـ (المصدر السابق ص: 203)

والنبي ﷺ قال في شأن المُرائي:" من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به، ومَن يُرائي، يُرائي الله به ". (البخاري ومسلم)

ومن ألاعيب الشيطان بالناس أنك تجدهم في صلاة التراويح في كسل وخمول، لكن إذا بدأ الإمام في الدعاء تقْشَعِر الجلود وتدْمع العيون، ويدب النشاط، فأين هذا عند سماع القرآن الذي إذا نزل على الجبال الشامخات لتفسَّخت وتصدَّعت؟ أين كلام البشر من كلام رب البشر؟!

بل وصل الشطط بالبعض أن يبكي بمجرد سماع صوت الإمام، ولو لم يَدْرِ ما يقرأ، وهذا أيضًا من ألاعيب الشيطان. وربما يتكلف أحدهم البكاء لدرجة تصل إلى الصريخ والعويل والتشنُّج والسقوط،

1– نشج الباكي نشجًا ونشيجًا: تردد البكاء في صدره من غير انتحاب.

وهذا ليس من صفات المؤمنين الذين وصفهم رب العالمين في كتابه الكريم فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر:23)

قال القرطبي–رحمه الله– في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن:365/7" عند هذه الآية:﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله، فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جُهّال العوامّ، والمبتدعة الطغام[1] من الزعيق والزئير، ومن النُّهاق الذي يشبه نُهاق الحمير.

فيُقال لمن تعاطى ذلك، وزعم أن ذلك وجْدٌ وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ﷺ ولا حال أصحابه – رضي الله عنهم– في المعرفة بالله، والخوف منه والتعظيم لجلاله، ومع ذلك كان حالهم عند المواعظ الفهم عن الله، والبكاء خوفًا من الله، ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(المائدة:83)، فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم، ومَن لم يكن كذلك فليس على هديهم، ولا على طريقتهم، فمن كان مُسْتنًّا فلْيَسْتَن بهم، ومن تَعاطى أحوال المجانين والجنون، فهو من أخسّهم حالًا، والجنون فنون.

وروى الترمذي عن العرباض بن سارية ﷺ قال:" وعظَنَا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب..". ولم يقل: زعقنا، ولا رقصنا، ولا زَفَنَّا [2] ولا قمنا ". اهـ باختصار.

1– وذكر ابن الجوزي في" كتابه تلبيس إبليس ص: 359" جملة من الآثار تدل على هذا الأصل منها ما جاء عن أبي حازم–رحمه الله– قال:" مرَّ ابن عمر–رضي الله عنهما– برجل من العراق ساقط، فقال: ما شأنه؟، فقالوا: إذا قُرئ عليه القرآن يصيبه هذا، قال: إنا لنخشى الله ﷻ وما نسقط". (تلبيس إبليس ص: 359)

2– وعن حصين بن عبد الرحمن –رحمه الله– قال:" قلت لأسماء بنت أبي بكر . رضي الله عنهما . كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله، أو كما وصفهم ﷻ: تدمع عيونهم، وتقشعر جلودهم، فقلت لها: إن هاهنا رجالًا إذا قُرئ على أحدهم القرآن غُشِي عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ". (المصدر السابق)

1– الطغام: أي أراذل الناس

2– زَفَنَ: رقص، وأصله الدفع الشديد والضرب بالأرجل، كما يفعل الراقص.

3- عن أبي عيسى-رحمه الله- قال: ذهبنا إلى عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-، فقال أبو السوار: "يا أبا عبد الرحمن إن قومًا عندنا إذا قُرئ عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله، قال: كذبت، قال: بلى ورب هذه البنيَّة[1]، قال: ويحك إن كنت صادقًا فإن الشيطان ليدخل جوف أحدهم، والله ما هكذا كان أصحاب محمد ﷺ". (المصدر السابق ص:364)

4- عن عمران بن عبد العزيز-رحمه الله- قال:" سمعت محمد بن سيرين، وسُئل عمَّن يستمع القرآن فيصعق، فقال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط، فيُقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن سقطوا فهم كما يقولون ". (المصدر السابق)

الوصية الثامنة: لا تصلي التراويح والقيام مع الكسل وغلبة النوم:

فالمسلم إذا قام بالليل ليصلي وقد غلبه النوم فإنه لا يدري ما يقول، وقد يخطئ في قراءة القرآن، بل قد يقوم ليدعو لنفسه فيدعو على نفسه كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة-رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال:" إذا نعِس أحدكم في الصلاة، فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلَّى وهو ناعس، لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه".

ولقد أرشد النبي ﷺ من أصابه فتور أو نعاس أن يرقد حتى يذهب عنه ما يجد، ويقبل على الصلاة حال نشاطه ليتدبر ما يقول ويعي ما يفعل.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال:" دخل رسول الله ﷺ المسجد، وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: لزينب تُصلي، فإذا كسلت . أو فترت . أمسكت به، فقال: حلُّوه، ليُصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر فليرقد ".

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن[2] على لسانه، فلم يَدْرِ ما يقول؛ فليضطجع ".

1- ورب هذه البنيَّة: أي الكعبة المشرفة، وكانت تُدعى بنية إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأنه بناها، وقد كثر قَسَمُهم برب هذه البنية.

2- فاستعجم القرآن: أي استغلق ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس.

الوصية التاسعة: إذا قمت إلى الصلاة في الليل فأطل القيام:

فمن الناس مَن يقوم الليل فيكثر عدد الركعات وتقليل القراءة والقيام، وهذا طيب وهو مأجور إن شاء الله، لكن هذا خلاف ما كان عليه النبي ﷺ حيث كان يطيل القيام، وأرشدنا ودلنا على أن هذا هو الأفضل.

فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت". (أي طول القيام).

وعند أبي داود عن عبد الله بن حُبْشيَّ: "أن النبي ﷺ سُئل: أي الأعمال أفضل؟، قال: طول القيام ".

قال النووي–رحمه الله– في شرح هذا الحديث:" المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت، وفيه دليل للشافعي ومن يقول كقوله، إن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود ". اهـ

وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ حيث كان يطيل القيام.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:" إن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ".

وفي حديث حُذيفة ﷺ وهو في صحيح مسلم:" أن النبي ﷺ قرأ البقرة والنساء وآل عمران في ركعة".

وعند البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" صليتُ مع رسول الله ﷺ فأطال، حتى هممت بأمر سوء، فقيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه ".

قال الحافظ –رحمه الله– في" الفتح:3/19":" وفي الحديث دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود ﷺ قويًا محافظًا على الاقتداء بالنبي ﷺ، وما هَمَّ بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده ". اهـ

وقال الحافظ الدمياطي–رحمه الله– في كتاب "المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح" ص: 51": قال العلماء:" إن الأفضل بالنهار كثرة السجود، وبالليل طول القيام، كما جاء في وصف صلاة رسول الله ﷺ بالليل، وجمعًا بين الأحاديث والله أعلم ".

الوصية العاشرة: لا تنصرف من المسجد قبل أن ينصرف الإمام من الصلاة:

كثير من الناس إذا صلَّى أحدهم التراويح في المسجد وفي نيته أن يتهجد في آخر الليل فإنه يصلي التراويح كلها خلف الإمام، فإذا أراد الإمام أن يوتر انصرف وترك الإمام... وهذا خطأ؛ لأنه بذلك يحرم نفسه من الخير، الذي أخبر عنه النبي ﷺ حيث قال:" من قام مع الإمامِ حتى ينصرفَ كتب اللهُ له قيامَ ليلةٍ ". (رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وهو في صحيح الجامع: 1615).

– وعند النسائي بلفظ:" إنَّ الرَّجلَ إذا صلَّى معَ الإمامِ حتَّى ينصرفَ حسبَ لَه قيامُ ليلةٍ...". الحديث (صحيح النسائي: 1363)

والصواب: أن يصلي خلف الإمام حتى يوتر، وإن كان في نيته القيام بالليل.

قال الإمام أحمد–رحمه الله–:" يعجبني أن يصلي مع الإمام ويوتر معه ".

الوصية الحادية عشر: لا تترك قيام الليل بعد رمضان:

فمن الناس من يُقبل في رمضان على التراويح والقيام بهمة ونشاط، ويواظب عليها طوال الأيام في شهر رمضان، لكن تجده يتوقف عن القيام مع ظهور هلال شوال.

فهذا نقول له كما قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–:" يا عبد الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل". (البخاري ومسلم)

وكانت عائشة–رضي الله عنها– تقول كما عند البخاري ومسلم:" ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ".

والشاهد قولها:" ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره" أي أنه يداوم على القيام، فصلاة وسلاماً على خير الأنام.

فعلى الإنسان أن يحافظ ويواظب على قيام الليل وإن قلَّ، وهذا من أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم:" أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ ".

أضف لهذا أن الإنسان إذا حافظ على قيام الليل فإنه سيتعوَّد عليه ولا يستغني عنه، ويكون له سجية وطبعًا. وقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان والطبراني في" المعجم الكبير" من حديث معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" الخيرُ عادةٌ والشَّرُّ لجَاجةٌ ومن يردِ اللَّهُ بهِ خيرًا يفقِّههُ في الدِّينِ ". (صحيح ابن ماجه: 182)

ومما يزيدك شوقًا لقيام الليل هو أن تقف على فضائل قيام الليل[1]، ومنها:

1- قيام الليل لشكر الله على نِعَمه، والتأسي بالرسول – صلى الله عليه وسلم-:

فالنبي ﷺ قام الليل حتى تورَّمت قدماه، وذلك تحقيقًا لمعنى العبودية لله ﷻ وشكر النعم.

فقد ثبت في "صحيح البخاري ومسلم" عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال:" أن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلِّي حتى تَرِمَ قدماه أو ساقاه فيقال له: فيقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا ".

وفى رواية أخرى عند البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها-:" إن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطرَ قدماه، فقلت: لم تصنع هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا ".

وقد روي عن سفيان الثوري–رحمه الله–أنه شبع ليلة فقال:" إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله "، فقام تلك الليلة حتى أصبح.

وثبت عند أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن أبي قيس قال: قالت عائشة –رضي الله عنها-:

" لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلَّى قاعدًا ".

2- قيام الليل فيه التأسي بالصالحين والتشبُّه بهم:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ أن النبي ﷺ قال:" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم...". (صحيح الجامع:4079)

فقيام الليل مضمار المتسابقين، ورأس مال الفائزين، وطريق السالكين إلى رب العالمين.

3- من قام الليل كتب من الصِّدِّيقِين والشهداء:

فقد أخرج البزار وابن خزيمة وابن حبان عن عمرو بن مُرَّة الجُهني ﷺ قال:" جاء رجل من قضاعة إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصلَّيت الصلوات الخمس، وصمت رمضان وقمته، وآتيت الزكاة؟ فقال رسول الله ﷺ: "مَن مات على هذا كان من الصِّدِّيقين والشهداء ". (صحيح الترغيب والترهيب: 933)

1- هناك محاضرة للمؤلف في فضل قيام الليل ضمن سلسلة" الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكورًا غير مأمور.

4- من قام الليل كتب من أهل الإيمان:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: 15 – 17)

5- من قام الليل كتب من الذاكرين الله كثيرًا:

فقد أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة وأبي سعيد-رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله ﷺ:" مَن استيقظ من الليل وأيقظ امرأته، فصلَّيا ركعتين جميعًا؛ كُتِبَا لَيْلَتِئذ من الذَّاكرين الله كثيرًا والذَّاكرات ". (صحيح الجامع: 6030)

6- من قام الليل كتب من المرحومين:

فقد أخرج أبو دواد والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" رحم الله رجلًا قام من الليل فصلَّى وأيقظ امرأته فصلَّت فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء ". (صحيح الجامع:3494)

7- من قام الليل كتب من القانتين المخلصين، ولم يكتب من الغافلين:

فقد أخرج ابن خزيمة والحاكم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَن صلَّى في ليلة بمائة آية لم يكتب من الغافلين، ومَن صلَّى في ليلة بمائتي آية كُتِبَ من القانتين المخلصين". (صحيح الترغيب: 636)

وأخرج أبو داود وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومَن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين، ومَن قام بألف أيه كُتِبَ من المقنطرين [1] ". (صحيح الجامع: 6439)

8- قيام الليل أفضل الصلوات بعد الصلاة المكتوبة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل ".

- وفي رواية:" أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل ".

1- من المقنطرين: أي ممَّن كُتِبَ لهم قنطار من الأجر.

9- قيام الليل سبيل للقرب من الله تعالى:

وقد مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي:" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم...". (الحديث)

قال الحسن البصري-رحمه الله-:" ما أعلم شيئًا يتقرب به المتقربون إلى الله أفضل من قيام الليل في جوف الليل إلى الصلاة ".

وقد أخرج الترمذي عن عَمْرُو بْنِ عَبَسَة ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ[1] فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ ". (صحيح الجامع:1173)

فهذا الوقت هو وقت نوم الناس وغفلتهم, فإذا قام المؤمن لرب العالمين ليفوز بجنة النعيم, فلا يستوي هو ومن آثر الوسادة على العبادة, وكما قيل: "من أراد الراحة، تَرَكَ الراحة ".

10- قيام الليل سبيل للفوز بمحبة الله تعالى:

وفى الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري:" وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...".

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ثلاثةٌ يحبُّهمُ اللَّهُ ويَضحَكُ لهم ويستبشِرُ بِهِمُ: الَّذي إذا انكشَفت فئةٌ قاتلَ وراءَها بنفسِهِ للَّهِ عز وجل فإمَّا أن يُقتَلَ وإمَّا أن ينصرَهُ اللَّهُ عز وجل ويَكْفيَهُ، ويقولُ: انظُروا إلى عبدي هذا كيفَ صبرَ لي بنفسِهِ!؟ والَّذي لَهُ امرأةٌ حسنةٌ وفراشٌ ليِّنٌ حسنٌ فيقومُ منَ اللَّيلِ فيقولُ يذرُ شَهْوتَهُ ويذكرُني ولو شاءَ رقدَ، والَّذي إذا كانَ في سفرٍ وَكانَ معَهُ رَكْبٌ فسَهِروا ثمَّ هجَعوا فقامَ منَ السَّحرِ في ضرَّاءَ وسرَّاءَ ". (صحيح الترغيب والترهيب: 625)

11- قيام الليل شرف للمؤمن:

فقد أخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي عن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال:" أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب مَن شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزَّه استغناؤه عن الناس ". (صحيح الجامع: 73)

1- جوف الليل: أي نصفه، وجوف الليل الآخر: أي نصف نصفه الثاني؛ أي سدسه الخامس وهو وقت النزول الإلهي كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْألُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟

(الصحيحة: 831)

12- قيام الليل سبب للثبات على الأمر، والإعانة على الأعمال وصلاح الأحوال:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل: 1-6)

قال الفراء-رحمه الله-: ﴿أَشَدُّ وَطْأً﴾ أي: أثبت للعمل وأدوم لمَن أراد الاستكثار من العبادة، والليل وقت الفراغ عن الاشتغال بالمعاش؛ فعبادته تدوم ولا تنقطع.

وقال عكرمة-رحمه الله-: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أتم نشاطًا وإخلاصًا وأكثر بركة.

وقال ابن زيد-رحمه الله-: أجدر أن يتفقه في القرآن، وقيل: أعجل إجابة للدعاء.

13- قيام الليل سبب للنجاة من الفتن ما ظهر منها وما بطن:

فقد أخرج البخاري عن أم سلمة -رضي الله عنها-:" أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال: سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أنزل الليلة من الخزائن؟ مَن يوقظ صواحب الحجرات؟".

وفي الحديث تنبيه على أن الصلاة بالليل تقي من الفتن.

14- من قام الليل أصبح طيب النفس نشيطًا:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم[1] إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلَّى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان ".

- وعند ابن ماجه بلفظ:" يصبح نشيطًا طيب النفس قد أصاب خيرًا، وإن لم يفعل أصبح كسلًا خبيث النفس لم يصب خيرًا ". - ورواه خزيمة فزاد في آخره:" فحلُّوا عقد الشيطان ولو بركعتين ".

15- من قام الليل أعطاه الله ما يسأل:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور وعليه عقد، فإذا وضَّأ يديه انحلت عقدة، وإذا وضَّأ وجهه انحلت عقدة، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة، وإذا وضَّأ رجليه انحلت عقدة، فيقول الله ﷻ للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه يسألني، ما سألني عبدي هذا فهو له "

1- قافية الرأس: مؤخره.

(صحيح الترغيب والترهيب:627)

وأخرج الإمام مسلم عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة ".

16- من قام الليل بيض الله وجهه، يوم تبيضُّ وجوه وتسْودُّ وجوه:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (عبس:38، 39)

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" وجوه مسفرة من قيام الليل ".

وقيل للحسن البصري-رحمه الله-:" ما بال المتهجِّدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟! قال:" لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره ".

17- قيام الليل يغفر الله به الذنوب والمعاصي والزلات:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تّقَدَّم من ذنبه ".

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن خزيمة عن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاةٌ عن الإثم". (صحيح الترغيب والترهيب: 620)

وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي عن معاذ بن جبل ﷺ قال:" قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجَنَّة ويباعدني من النار، قال. لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على مَن يَسَّرَه الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلًا. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(السجدة: 16، 17)

يقول ابن الحاج:" وفي القيام من الفوائد أنه يحطُّ الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة، ويُنَوِّر القبر، ويحسن الوجه، وينشط البدن ".

18- قيام الليل يكتب الله به الحسنات:

فقد أخرج الطبراني عن فضالة بن عبيد وتميم الداري-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:" مَن قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار (من الأجر)، والقنطار خير من الدنيا وما عليها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك ﷻ له: اِقْرَأْ وارق لكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول الله ﷻ

للعبد: اقبِض، فيقول العبد بيده: يا رب أنت أعلم فيقول: بهذه الخلد وبهذا النعيم ". (صحيح الترغيب:634)

19- أقُومُ الليل حتى أنجو من النيران:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال:" كان الرجل[1] في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ قال: وكنت غلامًا شابًا عزبًا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار[2]، فإذا هي مطوية[3] كطي البئر، وإذا لها قرنان- يعني كقرني البئر[4]- وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار، قال: فلقيهما ملك آخر فقال لي: لم ترع[5]، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل، قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلًا"

قال الحافظ بن حجر-رحمه الله- في" فتح الباري:10/3":" وقوله:" نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل " فمقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل ". اهـ.

وقد جاء في رواية في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: " إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل".

وقال القرطبي-رحمه الله-:" إنما فسر النبي ﷺ من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح، لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل: له لا روع عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقى به النار والدنو منها، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك ".

1- كان الرجل: إنما ذكر للتغليب وإلا فالنساء تدخل (أفاده ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-)

2- فذهبا بي إلى النار: والتقدير: أن يذهب بي إلى النار فيدخلاني فيها فلما نظرتها فإذا هي مطوية.

3- فإذا هي مطوية: أي مبنية، والبئر قبل أن تبنى تسمى قليبًا.

4- قرني البئر: قال النووي -رحمه الله-: هما الخشبتان اللتان عليهما الخطاف وهي الحديدة التي في جانب البكرة (قاله أبو دريد)

وقال الخليل: هما ما يبنى حول البئر ويوضع عليه الخشبة التي يدور عليها المحور وهي الحديدة التي تدور عليها البكرة.

5- لم ترع: أي: لم تخف والمعنى لا خوف عليك بعد هذا، ورواية الجمهور بإثبات الألف. تراع": قال ابن القيم: وهي لغة قليلة- أي: الجزم بلن.

وقال أبو الحكني اليوسفي الشنقيطي –رحمه الله– في كتابه زاد المسلم: 440/3:" وفي هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب ". اهـ

قال ابن المبارك –رحمه الله–:

إذا ما الليـــل أظلم كابـدوه فيسفر عنهـم وهـم ركـــوع

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

يقول عبد الرحمن بن يزيد بن جابر:" كنا نغزو مع عطاء بن ميسرة الخراساني، فكان يحيي الليل صلاة، فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يسمعنا: يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، ويا يزيد بن يزيد، ويا هشام بن الغاز، ويا فلان، ويا فلان، قوموا وتوضئوا وصلوا، فإن قيام هذا الليل، وصيام هذا النهار، أيسر من شراب الصديد ومقطعات الحديد، الوحا... الوحا.... النجا... النجا، ثم يقبل على صلاته ".

وقال بعضهم:

منـع القـــرآن بوعـده ووعيـــد مقـل العيون فليلتها لا تهجع

فهموا عن الملك الجليل كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضع

20– قيام الليل سبيل لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات:15–19)

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة:16،17)

جاء في مستدرك الحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" مكتوب في التوراة لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ولا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، قال: ونحن نقرأها ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس.

– وأخرج الإمام أحمد الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ﷺ قال:" أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه[1] فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه وفي رواية واستثبته[2] وفي

1– انجفل الناس: أي ذهبوا إليه بأجمعهم مسرعين.

رواية: واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذَّاب، قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال:" أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نِيامٌ، تدخلوا الجنة بسلامٍ ". (صحيح الترغيب والترهيب:616-949) (صحيح الجامع:7865)

- وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أطب الكلام، وأفش السلام، وصِلِ الأرحام، وصلِ بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام ".

(صحيح الجامع: 1019) (الصحيحة:569)

21- قيام الليل رفعة في الدرجات، وسبيل لسكنى غرف الجَنَّة:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ إلى قوله...﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ [1] مَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا(75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان:63- 76)

فقد أخرج الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:" في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقال أبو مالك الأشعري ﷺ لمن هي يا رسول الله؟، قال:" لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناس نيام" (صحيح الترغيب والترهيب: 617)

-وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أبي مالك الاشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها؛ أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام[2]، وصلى بالليل والناس نيام ". (صحيح الجامع: 2123)

- وفي رواية: " أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام ".

(صحيح الترغيب والترهيب: 618)

وهذه الغرف في أعالي الجنة يسكنها من يقومون الليل.

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة، كما تراءون الكواكب في السماء ".

وأخيرًا: فثواب القيام لا تحيط به العقول، وتقصر عنه العبارات، ومن هنا نعلم معنى حديث النبي

2- استبته: أي تحققته، وتبينته.

1- يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ: أي الدرجة العليا في الجَنَّة.

2- تابع الصيام: أي أكثر منه بعد الفريضة بحيث تابع بعضها بعضًا ولا يقطعها رأسًا، وقيل أقله أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام،(تحفة الأحوذي 119/6)

ﷺ:" لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ". (رواه مسلم عن ابن مسعود ﷺ)

والمقصود بالحسد هنا: هو الحسد المحمود، وهو ما يطلق عليه الغبطة، وهو تمني مثل ما للمُغْبَط، فإن كان المغبط على حالة محمودة كما في الحديث السابق فهو تَمَنٍّ محمودٌ يثاب عليه ويؤجر.

لا تجعل أخي الحبيب أذنيك مبولة للشيطان:

– فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" ذُكِرَ عند النبي ﷺ رجل نام ليلةً حتى أصبح، قال:" ذاك رجلٌ بالَ الشيطانُ في أذنهِ أو قال: في أذنيه ".

وقولهﷺ:" نام ليلة حتى أصبح ". قال الحافظ–رحمه الله–:" يراد به صلاة الليل أو المكتوبة ".

قال عبد الله بن مسعود ﷺ:" حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه ". (قال الحافظ في الفتح: 35/3 موقوف صحيح الإسناد)

– وقد اختلف أهل العلم في بول الشيطان هل هو على الحقيقة أم على المجاز؟

فذهب البعض إلى أنه على الحقيقة.

حيث قال القرطبي–رحمه الله–:" لا مانع من ذلك، إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح، فلا مانع أن يبول ".

وكان الحسن–رحمه الله– يقول:" إن بوله والله لثقيل ".

وقيل: إن بول الشيطان على المجاز: ومعناه: أن الشيطان استولى عليه، واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول، إذا من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه.

وقيل: هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم فمن وقع البول في أذنه فثقل أذنه، وأفسد حسه.

وقال الطيبي–رحمه الله–: خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب للنوم إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هي موارد الانتباه، وخص البول، لأنه أسهل مدخلًا في التجاويف، وأسرع نفوذًا في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء ". (فتح الباري: 35/3)

وأخرج ابن حبان في صحيحه والبيهقي في السنن الكبرى من حديث أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن اللهَ يَبغضُ كلَّ جَعْظَرِيٍّ[1] جَوَّاظٍ[2]، سَخَّابٍ في الأسواقِ، جيفةٍ بالليلِ، حِمارٍ بالنهارِ، عالمٍ بأمرِ الدنيا، جاهلٍ بأمرِ الآخِرةِ ". (صحيح الجامع: 1878) (الصحيحة: 195)

1– الجعظري: الفظ الغليظ المتكبر.

كلمة لمن يترك قيام الليل في رمضان وفي غيره من سائر الأيام:

– اعلم أن النبي ﷺ كان لا يدع قيام الليل، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا ". (رواه أبو داود)

فما حالك أيها الصحيح المعافى؟

وقد كان النبي ﷺ إذا فاته ورده من الليل لانشغاله بأعباء الدعوة والجهاد، قضاه نهارًا.

فما أخبارك يا من تشكو الفراغ والملل؟

وكان النبي ﷺ إذا سمع الديك يؤذن وثب إلى محرابه وهو سيد العابدين.

فكيف بمحترفي الذنوب والغافلين؟

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بقيام الليل، وقد شهد لهم بأنهم خير القرون، فيقومون.

فكيف بآخر القرون؟ وفيهم المكبلون بالشهوات، الغارقون في الغفلات، ومع هذا ينامون.

الأسباب المعينة على قيام الليل:

اعلم إن قيام الليل عسير على الخلق إلا من وفقه الله عز وجل للقيام والأسباب الميسرة له الظاهرة والباطنة سبعة.

فأما الظاهرة: فأربعة:

الأول: أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم، كما قال بعضهم: لا تأكلوا كثيرًا فتشربوا كثيرًا فترقدوا كثيرًا.

الثانية: أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب، فإن ذلك أيضا مجلبة للنوم.

الثالث: أن ينام القيلولة بالنهار للاستعانة بها على قيام الليل.

الرابعة: أن لا يكثر من الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسي القلب، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة.

والملوك لا يسمحون للخلوة بهم ومناجاتهم إلا لأهل طاعتهم ووداهم والإخلاص لهم.

قالوا لابن مسعود ﷺ: لا نستطيع قيام الليل؟ فقال: أبعدتكم الذنوب.

وقال رجل للحسن–رحمه الله–: لا أستطيع قيام الليل فصف لي دواء؟ قال: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل.

وقال الثوري–رحمه الله–:" حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أصبته ".

2– الجواظ: الجموع المنوع.

وكان الحسن–رحمه الله– إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول:" أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء".

فالذنوب تورث قساوة القلب، وتمنع من قيام الليل، وأخصها بالتأثير تناول الحرام، وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له، ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة! وكم من نظرة منعت قراءة سورة! وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة.

الميسرات الباطنة:

الأول: سلامة القلب عن البدع والحقد على المسلمين، وعن فضول هموم الدنيا، فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام، وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته، ولا يجول إلا في وساوسه.

الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل، فإن العبد إذا تفكر في دركات جهنم وأهوال الآخرة طار نومه.

قال عبد الله بن رواحة ﷺ:" إن عبد الله إذا ذكرت الجنة طال شوقه، وإذا ذكرت النار طار نومه ".

ومر بنا قول ابن المبارك–رحمه الله–:

إذا ما الليـل أظلم كابـــدوه فيسفر عنهم وهـــم ركـــوع

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل (وقد مر بنا) حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنات.

ثانيًا: الوصايا الخاصة بصلاة الوتر:

الوصية الأولى: لا تترك صلاة الوتر عمدًا:

كان السلف يشددون على من يترك صلاة الوتر. حتى قال الإمام أحمد–رحمه الله–:" مَن ترك الوتر عمدًا فهو رجل سوء ولا ينبغي أن تقبل له شهادة ". (المغني: 161/2)

الوصية الثانية: لا تكرر الوتر في ليلة واحدة:

ومن الناس من يصلي الوتر أكثر من مرة في ليلة واحدة.. فيصلي مع الإمام ويوتر معه، ثم يصلي بمفرده بعد ذلك ويوتر مرة أخرى بعد الصلاة. وهذا خطأ.

والصواب أنه: لا يصلي الوتر في الليل إلا مرة واحدة.

فعن طلق بن علي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" لا وتران في ليلة ". (أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي)

قال الخطابي –رحمه الله– في" معالم السنن:2/141":" ومعنى الحديث أن مَن أوتر، ثم بدا له أن يصلي بعد ذلك، فلا يعيد الوتر، وهو قول جمهور العلماء ". اهـ

قال العراقي–رحمه الله–: وإلى ذلك ذهب أكثر العلماء، وقالوا إن مَن أوتر، وأراد الصلاة بعد ذلك لا ينقض وتره، ويصلي شفعًا شفعًا حتى يصبح ". (نيل الأوطار:3/55)

تنبيهان:

1– يستحب بالاتفاق أن يجعل الوتر آخر النوافل التي يصليها بالليل.

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر–رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال:" اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا ".

لكن من خشي ألا يستيقظ للوتر آخر الليل، فيستحب له أن يوتر قبل أن ينام كما مر بنا.

2– الأفضل لمن صلَّى التراويح مع الإمام أن يصلي الوتر معه.

وذلك للحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث أبي ذر ﷺ قال:" صُمنا مع رسول الله ﷺ فلم يصلِّ بنا حتى بقي سبع من الشهر، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، ثم لم يقم بنا في السادسة، وقام بنا في الخامسة حتى ذهب شطر الليل، فقلنا له: يا رسول الله، لو نفلتنا بقية ليلتنا هذه، فقال: إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ". (قال الألباني: صحيح)

ومن صلَّى الوتر وأراد القيام آخر الليل؛ فليصلِّ شفعًا من غير وتر لنهي النبي ﷺ عن ذلك، كما مرّ بنا في العنصر السابق، وكما جاء في حديث طلق ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا وتران في ليلة". (رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن).

ورُوي عن أبي بكر ﷺ أنه قال:" أما أنا فإني أنام على فراشي، فإن استيقظت صليت شفعًا حتى الصباح ". وكان سعيد بن المسيب–رحمه الله– يفعله.

ومن صلَّى مع الإمام التراويح والوتر وأحب أن يوتر آخر الليل، فإنه إذا سلَّم الإمام لم يسلم معه ويقوم ليأتي بركعة أخرى يشفع بها صلاته مع الإمام – روي ذلك عن عثمان بن عفان ﷺ.

جاء في "المغني:164/2" في الكلام على الوتر:" فإن صلَّى مع الإمام وأحب متابعته في الوتر، وأحب أن يوتر آخر الليل، فإنه إذا سلم الإمام لم يسلِّم معه وقام فصلى ركعة أخرى يشفع بها صلاته مع الإمام، نص عليه، ثم قال عن الإمام أحمد: يشفع مع الإمام بركعة أحب إليّ ". اهـ

وبهذا يحصل للمأموم القيام مع الإمام حتى ينصرف مع جعل آخر صلاته بالليل وترًا.

الوصية الثالثة: لا توتر بثلاث ركعات بتشهدين:

الوتر بثلاث ركعات ثابت عن النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:" كان رسول الله ﷺ يصلي أربعًا فلا تسأل عن حُسْنِهُنَّ وطُولِهُنَّ، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حُسْنِهُنَّ وطُولِهُنَّ، ثم يصلي ثلاثًا ".

فمن الأئمة مَن إذا أراد أن يصلي الوتر ثلاث ركعات، فإنه يصليها كما يصلي صلاة المغرب بتشهدين.... وهذا خطأ نهى عنه النبي ﷺ.

فقد أخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا توتِروا بثلاث تشبهوا بالمغرب، ولكن أوتروا بخمس أو بسبع أو بتسع أو بإحدى عشرة أو أكثر من ذلك ".

ففي هذا الحديث النهي عن الإيتار بثلاث، وتقدم أنه أوتر بثلاث، وقد جمع الحافظ بين الأحاديث بجعل أحاديث النهي محمولة على الإيتار بثلاث بتشهدين؛ لمشابهة ذلك لصلاة المغرب، وأحاديث الإيتار محمولة بثلاث على أنها متصلة بتشهد واحد في آخرها، وهي الجائزة.

– وعلى هذا فإن صلاة الوتر بثلاث ركعات لها صورتان وكلاهما ثابت عن النبي ﷺ.

الصورة الأولى: أن يصلي ركعتين ويسلم، ثم يصلي الثالثة وحدها.

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عمر–رضي الله عنهما–:" أنه كان يسلم بين الركعتين والوتر حتى يأمر ببعض حاجته".

وعند الإمام أحمد عن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال:" كان رسول الله ﷺ يفصل الشفع والوتر بتسليم يُسمعناه ".

وذكر ابن حبان–رحمه الله– حديثًا وبوَّب عليه فقال:" ذكر الخبر الدال على أن النبي ﷺ كان يفصل بالتسليم بين الركعتين والثالثة ".

الصورة الثانية: أن يصلي الثلاث بتشهد واحد.

وذلك للحديث الذي أخرجه الإمام مالك والنسائي والحاكم والبيهقي عن عائشة–رضي الله عنها–: "كان يوتر بثلاث لا يقعد إلا في آخرهن ".

الوصية الرابعة: لا تترك التسبيح والدعاء الوارد بعد الوتر:

وكثير من الناس لا يعلم التسبيح والدعاء الوارد بعد الوتر، ومن ثَمَّ فهو لا يقوله بعد الوتر.

والصواب: أنه يُستحب بعد التسليم من الوتر التسبيح... لما في حديث أُبي بن كعب ﷺ قال:" كان النبي ﷺ يقرأ في الوتر بـ:" سبح اسم ربك الأعلى"، و" قل يا أيها الكافرون"، و" قل هو الله أحد"، فإذا سلم قال:" سبحان الملك القدوس"، ثلاث مرات ". (أبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني)

– وفي رواية عن عبد بن أبزى– وزاد في آخره–:" ورفع صوته في الآخرة ".

– وعند النسائي:" يمد بها صوته ويرفعه ".

– وله أن يزيد:" رب الملائكة والروح ". (وهذه الزيادة عند الدارقطني بإسناد صحيح).

– وعن عليّ ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخر وتره:" اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك ". (مسلم)

ثالثًا: الوصايا الخاصة بالأئمة:

الوصية الأولى: لا تتغنى بالقرآن في الصلاة كما يُتغنى بالألحان:

فتحسين الصوت في الصلاة أمر مستحب دعا إليه الشرع الحكيم.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَا أَذِنَ الله لشيءٍ ما أَذِنَ لنَبِيٍّ حسن الصوت، يتغنَّى بالقرآن يجهر به ".

معنى "أَذِنَ الله": أي استمعَ، وهو إشارة إلى الرضا والقبول.

ومعنى "يتغنَّى": يُحسِّن صوته جاهرًا مترنِّمًا على طريق التحزُّن، مما له تأثير في رقة القلب وإجراء الدمع. (النووي في رياض الصالحين)

وأخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب ﷺ قال:" سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء بالتِّين والزيتون، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه ".

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَن لم يتغنَّ بالقرآن فليس منَّا".

وقال أبو موسى الأشعري للحبيب النبي ﷺ:" لو علمتُ أنك تسمع لَحَبَّرتهُ لك تحبيرًا ".

- وقال له الحبيب النبي ﷺ:" لقد أُوتيت مِزْمَارًا من مزامير آل داود ". (مسلم)
- وكان عاصم أبو النُّجود إذا قرأ كأنما في حَلْقِهِ جَلاَجِل.

واستمع النبي ﷺ إلى قراءة سالم مولى أبي حذيفة، وكان حسن الصوت فقال:" الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا ". (رواه ابن ماجه بسند جيد)

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه، والتخشُّع منه.

قال طاووس–رحمه الله–:" أحسن الناس صوتًا بالقرآن: أخشاهم لله ".

لكن هناك مَن خرج عن قواعد وأصول التجويد، فراح يتغنَّى بالقرآن، ويرجع فيه كترجيع الغناء، وهذا ليس من شرع رب الأرض والسماء.

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–:" أما تحسين الصوت، وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك، لكن هناك مَن يخرج عن قواعد التجويد، وتدبُّر القرآن، ويتغنى بالقرآن كما يتغنَّى بالألحان، وقد نهى النبي العدنان ﷺ عن هذا ".

فقد أخرج أبو عبيد في "فضائل القرآن" والبيهقي في "الشعب" والطبراني في "الأوسط" بسند فيه مقال عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين، وسيجيء قوم من بعدي يُرجِّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنَّوح لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم". (ضعيف)

وإن كان الحديث فيه مقال إلا أن المعنى صحيح، ويشهد له ما أخرجه الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" والبخاري في "التاريخ" عن عابس الغفاري ﷺ قال: "سمعت رسول الله ﷺ يتخوَّف على أمته ست خصال: إمْرَة الصبيان، وكثرة الشُّرَط، والرشوة في الحكم– وفي رواية: بيع الحكم– وقطيعة الرحم، واستخفاف بالدم، ونشءٌ يتخذون القرآن مزامير يقدِّمون الرجل ليس بأفقههم ولا أعلمهم ولا بأفضلهم يغنِّيهم غناءً ".

والمراد بالتغني هنا: ما يكون من التطريب والتمطيط والتلحين في القراءة، وما كان متكلفًا زائدًا على قواعد التجويد واللغة العربية.

قال الحافظ ابن كثير–رحمه الله– كما في "فضائل القرآن" ص:195:" والغرض أن المطلوب شرعًا، إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبُّر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة، المركَّبة على الأوزان، والأوضاع الملهية، والقانون الموسيقائي، فالقرآن يُنزَّه عن هذا ويُجَلُّ ويعظَّم أن يسلك في أدائه هذا المذهب ".

قال الإمام مالك–رحمه الله–:" ولا تعجبني القراءة بالألحان، ولا أحبُّها في رمضان ولا في غيره؛ لأنه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن ويقول: فلان أقرأ من فلان، وبلغني أن الجواري يُعلَّمن ذلك كما يعلمن الغناء ".

وقال أبو ذر ﷺ:" سمعت رسول الله ﷺ يتخوف على أمته قومًا يتخذون القرآن مزامير يقدِّمُون الرجل يؤمهم ليس بأفقههم لكن ليغنيهم ".

فهُم بذلك لا يقصدون فهم معانيه من أمر ونهي، أو وعد، أو وعيد، أو وعظ، أو تخويف، أو ضرب مثل، أو اقتضاء حكم... أو غير ذلك مما أنزل به القرآن، وإنما هو للذة والطرب والنغمات والألحان، كنقر الأصوات، وأصوات المزامير، كما قال تعالى– يذم قريشًا–: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً﴾ (الأنفال:35) إنما أنزل القرآن لتدبُّر آياته، وتفهُّم معانيه، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ (ص:29)، وهذا يمنع أن يقرأ بالألحان المطربة والمشبهة للأغاني، فذلك ضد الخشوع، ونقيض الخوف والوجل.

الوصية الثانية: إياك والتَّنطُّع بالقراءة والوسوسة في مخارج الحروف:

القرَّاء مَن يخرج عن إعطاء الحروف حقها من الصفات والأحكام إلى تجويد متكلف متعسف، ولا يقرأ بسهولة واستقامة، وفي الحديث:" مَن أراد أن يقرأ القرآن رطبًا... ". الحديث

أي: لينًا لا شدة في صوت قارئه.

يقول ابن القيم–رحمه الله–كما في" إغاثة اللهفان:160/1":" ومن ذلك–أي مكايد الشيطان–الوسوسة في مخارج الحروف والتنطع فيها، ثم قال: ومَن تأمل هدي رسول الله ﷺ وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم يتبين له أن التنطع، والتشدق، والوسوسة في إخراج الحروف ليس من سنته ". اهـ

(بدع القرَّاء للشيخ بكر أبو زيد–رحمه الله– ص:8،9)

الوصية الثالثة: لا تنقر صلاة التراويح:

اعتاد بعض الأئمة – هداهم الله– في كثير من البلاد الإسلامية، أن يخففوا صلاة التراويح إلى هيئة يقعون بسببها في الإخلال بأركان الصلاة وسننها، كترك الطمأنينة في الركوع والسجود، وسرد القراءة، ودمج الحروف بعضها ببعض؛ رغبة في العجلة، حتى أنهم يصلون ثلاثًا وعشرين ركعة في أقل من ثلث ساعة، وهذا من أعظم مكائد الشيطان لأهل الإيمان، يُبطِل على العامل عمله، حتى تكون صلاته

أقرب إلى اللعب منها إلى الطاعة، فحق على المصلي فرضًا أو نفلًا أن يقيم الصلاة بصورتها الظاهرة والباطنة.

الظاهرة: من القراءة والقيام والركوع والسجود.... وغيرها.

الباطنة: من الخشوع، والطمأنينة وحضور القلب، وكمال الإخلاص، والتدبُّر والتفهم لمعاني القراءة والتسبيح ". (7 رسائل في رمضان لرياض الحقيل ص: 59)

يقول الشيخ علي محفوظ–رحمه الله– في كتابه "الإبداع في مضار الابتداع" ص: 286:" وأشد كراهة منه صلاة التراويح مع التخفيف المُفرِط فيها، جهلًا من الأئمة وكسلًا من الناس، والانفراد في هذه الحالة أفضل من الجماعة، بل إن علم المأموم أن الإمام لا يتم بعض الأركان لم يصح اقتداؤه به أصلًا ". اهـ

وأخرج الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال:" أسوأ الناس سرقة الذي يسرق في صلاته ".

وكان الإمام مالك–رحمه الله– يقول:" في كل شيء وفاء وتطفيف، فإذا توعَّد الله سبحانه بالويل للمطففين في الأموال، فما الظن بالمطففين في الصلاة ".

وكان من هدي السلف في التراويح تطويل قراءتها، حتى كانوا يعتمدون على العصى من طول القيام.

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ:" قام بنا النبي ﷺ حتى خشيت أن يفوتنا الفلاح ". (يعني السحور)

الوصية الرابعة: اهتم بالكيف ولا تنشغل بالكمّ:

تجد أن بعض القرَّاء يتنافسون في عدد الختمات، ولو لم تكن بتدبُّر وإمعان، وهذا مخالف لما نزل من أجله القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (ص:29)

وكان السلف يرون أن قليلًا من القراءة مع تدبُّر وتفهُّم، خير من كثير منها مع غفلة القلب، وشرود الذهن. فيقول ابن عباس–رضي الله عنهما–:" لأن أقرأ البقرة وآل عمران أُرتِّلهُما وأتدبَّرهما أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة ". (إحياء علوم الدين)

وقال أيضًا:" لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبَّرهما أحبُّ إليَّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهزيرًا[1]". (المصدر السابق)

1 . الهذرمة والتهزير: الإسراع في القراءة.

وقال رجل اسمه نُهيك بن سنان لعبد الله بن مسعود ﷺ:" إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال عبد الله: هذًّا كهذِّ الشعر، إن أقوامًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم،[1] ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع". (أخرجه البخاري ومسلم)

– وقال بعض العلماء:" هذا القرآن رسائل أتتنا من قِبَل ربنا ﷻ بعهوده، نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات ". (إحياء علوم الدين)

الوصية الخامسة: لا تتعمد رفع صوتك بالبكاء:

فمن الأئمة مَن يتكلَّف البكاء ويفتعله، ويتعمَّد إظهاره لإبكاء من خلفه، وهذا كله خلاف نهج النبي ﷺ وهديه، فقد كان من هدي النبي ﷺ أنه كان يكتمه فيسمع لصدره أزيز.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال:" أتيت النبي ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل ".

وهذا حال النبي ﷺ في البكاء، لا كما يفعله بعض الأئمة من الصراخ والصياح والعويل.

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ كما في "مصنف ابن أبي شيبة" وفي "حلية الأولياء":" ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس يفطرون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخلطون، وبخشوعه إذ الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا، حكيمًا حليمًا، عليمًا سِكِّيتًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا، ولا غافلا، ولا صخابا، ولا صيَّاحًا، ولا حديدًا ". حديدًا: أي سريع الغضب.

حال السلف عند البكاء:

يقول محمد بن واسع –رحمه الله–:" أدركتُ رجالًا، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خدِّه من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركتُ رجالًا يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعه على خدِّه ولا يشعر به الذي إلى جنبه ".

ويقول الحسن البصري–رحمه الله–:" إن الرجل ليجلس المجلس؛ فتجيئه عبرته فيردها، فإذا خشي أن تسبقه قام ". (الزهد للإمام أحمد ص:262)

وها هو أيوب السختياني–رحمه الله–:كان إذا وعظ فرقَّ، فَرَقَ (خاف) من الرياء فيمسح وجهه، ويقول: ما أشدَّ الزكام ". (المدهش لابن الجوزي)

1– لا يجاوز تراقيهم: معناه: أنهم يقرءون القرآن بألسنتهم ولا يصل إلى قلوبهم، والتراقي: جمع ترقوة، وهي العظم بين ثغر النحر والعاتق.

فرحمة الله عليهم، أصلحوا حالهم مع الله، فأصلح الله أحوالهم مع الناس، لم يطلبوا الشهرة لكن أبى الله إلا أن يشتهروا، ويُذْكَرُوا، وتَطِيب المجالس بذكرهم.

فها هو محمد بن أسلم الطوسي–رحمه الله–:" كان يقرأ القرآن فيبكي، فإذا أراد أن يخرج، غسل وجهه حتى لا يُرى عليه أثر البكاء، فلما أصلح سرَّه وخاف الشهرة، انظر ماذا كان عند موته؟ صلَّى عليه عند موته ألف ألف من الناس، وقيل: ألف ألف ومائة ألف من الناس.

تنبيه مهم: مَن استطاع أن يكتم بكاءه فلم يفعل وأظهره، وقع في الرياء.

قال ابن الجوزي–رحمه الله– في" كتاب تلبيس إبليس ص:203":" وقد لبَّس إبليس على قوم من المتعبدين، وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه، فلا يمكن دفعه، فمن قدر على ستره، فأظهره فقد تعرض للرياء ".

يقول محمد شومان الرملي في" كتابه دموع القراء "ص: 8–11":" البكاء عند سماع القرآن وتلاوته ليس مقصودًا لذاته, ولا هو المراد في الأصل، إنما المقصود حضور القلب وتدبُّره لما يتلو ويسمع، فيُحْدِث له ذلك إيمانًا ويقينًا، ورغبة ورهبة، ومحبة وشوقًا، وتوجب له هذه الأمور خضوعًا وخشوعًا، وذلًا وانكسارًا، يصاحب ذلك رقة وبكاء.

فهذا البكاء يُمْدَح ويُثْنى على صاحبه، لا البكاء المجرَّد عن السبب الذي ذكرتُ، العاري عن الخشوع الذي وصفت، ولا البكاء المتكلف أو الذي يراد به وجه الخلق.

ولقد رأيت كثيرًا من القرَّاء خاصة من أئمة المساجد يتصنعون البكاء، ويتكلفونه إلى الغاية، فتجد الواحد منهم يستجلب البكاء ويستخرجه من رأسه قَسْرًا، ضد ما كان عليه السلف . رحمهم الله . يكظمونه ويردُّونه حيث استطاعوا.

وينبغي للقارئ إذا كان مع الناس أن يخفض بكاءه ما استطاع، وإذا كان وحده فليبك ما شاء، لكن لا يُحدِّث به أحدًا بعد.

ولقد رأيت من الأئمة مَن يتجهز للبكاء قبل الصلاة، ورأيت مَن يقدِّم الإمام إلى الصلاة، ويقول له: ابكِ يا شيخ، ورأيت مَن يبكي أثناء الفاتحة في الركعة الأولى، بل إن بعضهم لتخرج منه تكبيرة الإحرام مخنوقة بالبكاء.

ما هكذا كان السلف، فقد كانوا يبكون في مواضع البكاء، ويبكون غلبة لا تصنُّعًا، ويبكون لِما تحدثه الآيات في قلوبهم من الخشوع والرقة، لا يبكون رياء وسمعة.

ولقد رأيت من لا تكاد تفهم قراءته لكثرة بكائه، ويبكي إذا قرأ آيات الوعيد، ويبكي إذا قرأ آيات الرجاء، ويبكي إذا قرأ آيات الطلاق، ويبكي إذا قرأ آيات الميراث[1].

إن هذا يذكرني بحكاية هي كالطرفة، رأيتها في أخبار الحمقى لابن الجوزي , قال–رحمه الله– عن أبي عثمان الجاحظ، قال: أخبرني يحيى بن جعفر قال: كان لي جار من أهل فارس، وكان طوال الليل يبكي، فأنبهني ذات ليلة بكاؤه ونحيبه، وهو يشهق، ويضرب على رأسه وصدره، ويردد آية من كتاب الله تعالى، فلما رأيت ما نزل به قلت لأسمعن هذه الآية التي قتلت هذا، وأذهبتْ نومي، فتسمَّعتُ عليه، فإذا الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾(البقرة:222) وصلَّيتُ مرة خلف بعضهم فناح طوال الصلاة، وبعض من خلفه يبكون، ويتكلمون بالدعاء والنياحة، والتأوهات في الصلاة وأثناء القراءة!!! ويخرجون المناديل من جيوبهم، ويمسحون وجوههم، ويتحركون هكذا وهكذا...."، اهـ بتصرف

الوصية السادسة: لا تتاجر بالقرآن في شهر رمضان:

فبعض الأئمة في رمضان يشترط على الناس أن صلاة التراويح ثمنها كذا، والتهجُّد بكذا، ويطلب مبالغ باهظة، وإلا فليبحثوا عن غيره، أهكذا يكون حال حملة القرآن؟.

وقد قال الحبيب العدنان كما في مسند الإمام أحمد وأبي يعلى والطبراني والبيهقي:" اقرءوا القرآن واعملوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به ".

وفي "الجامع الصغير" للترمذي أن النبي ﷺ قال:" مَن قرأ القرآن فليسأل الله به, فإنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس".

وعند البيهقي أن النبي ﷺ قال:" مَن قرأ القرآن يتأكَّل به الناس، جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم".

قال ميمون بن مهران: يا أصحاب القرآن! لا تتخذوا القرآن بضاعة، تلتمسون به الربح في الدنيا، اطلبوا الدنيا بالدنيا، والآخرة بالآخرة ".

1– لا عجب في أن يبكي القارئ من كل آي القرآن الكريم خشوعًا وتعظيمًا لأنه كلام الله تعالى، وإنما النكير على المرائي ببكائه أيًّا كان موضوع الآيات الكريمة.

(أفاده الشيخ محمد إسماعيل المقدم–حفظه الله–)

وكان ضريرٌ يجالس سفيان الثوري، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد، فيُصلِّي بالناس فيُكْسَى ويُعْطَى، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: قد تعجَّلت ثوابك في الدنيا، فقال: يا أبا عبد الله تقول لي هذا، وأنا جليسك؟ قال: أخاف أن يقال يوم القيامة: كان هذا جليسك أفلا نصحته ".

وقيل لعبد الله بن المبارك: مَن سفلة الناس؟ قال: الذين يتعيشون بدينهم، كان سري السقطي يذم مَن يأكل بدينه، ويقول: من النذالة أن يأكل العبد بدينه ".

شبهة والرد عليها:

لعل قائل يقول: إن أخذ الأجرة على قراءة القرآن جائزة، ويستدل بقول النبي ﷺ:" أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله".

والجواب: هذا ليس فيه حجة له لأخذ الأجرة على العلم, وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–

عن هذا الحديث فقال: نعم. ثبت ذلك، فإن النبي ﷺ قال:" أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله"، لكنه في حديث الرقية، وكان الجُعْل على عافية مريض القوم لا على التلاوة ". اهـ

فتنبَّه لقول الشيخ: "لا على التلاوة"، فهو كالدواء على شرط العافية، فأين هذا مما نحن فيه؟ فبطل هذا الاستدلال.

والحديث بتمامه ذكره البخاري –رحمه الله– في صحيحه عن ابن عباس–رضي الله عنهما–:" أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بماء قوم فيهم لديغ–أو سليم– فعرض لهم رجل من أهل الماء, فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلًا لديغًا – أو سليمًا– فانطلق رجل منهم، فقرأ بفاتحة الكتاب على شاة فبرأ، فجاء بالشاة إلى أصحابه فكرهوا ذلك، وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا؟ حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله! أخذ على كتاب الله أجرًا، فقال رسول الله:" أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله ".

فليس فيه حجة لمن جعل العلم تجارة دنيوية, كذلك فإن نفس الحديث حجة على من احتج به, فإن الصحابة –رضي الله عنهم– أنكروا ذلك على صاحبهم, ولم تطمئن قلوبهم لفعله لعلة أنه أخذ أجرًا على كتاب الله، لذلك قالوا:" يا رسول الله! أخذ على كتاب الله أجرًا ". يعني أن هذا متقرر عندهم قبحه، أن يأخذ الإنسان على كتاب الله أجرًا، لكن لما أخبرهم ﷺ إن ذلك جائز في الرقية على شرط العافية كما قرر شيخ الإسلام، وأن الذي أخذه صاحبهم هو المشروط على عافية المريض، لا على التلاوة زال عنهم الإشكال.

كذلك قد يقول القائل: الصحابة يأخذون الغنائم في الحرب، ويقصد القائل: إن هذا مثل يقاس على ما يؤخذ اليوم على قراءة القرآن، وهذه عجيبة أخرى أن يقاس هذا بهذا، فالصحابة لو كان قصدهم الغنائم لبطل أجرهم، كذلك فرق بين أموال الغنائم وغيرها من هذه الأموال.

تنبيه: يجوز أخذ الأجرة لقارئ القرآن لا على القراءة لكن على حبس الوقت، ويُسْتَحب أن يدرِّس بجانب القرآن أي من المواد الشرعية خروجًا من الخلاف.

الوصية السابعة: لا تطل القيام، وتفرط في باقي أركان الصلاة:

فمن الأئمة مَن يطيل القيام، وبخاصة إذا كان حسن الصوت، ثم بعد ذلك تجده ينقر الركوع والسجود نقرًا، حتى إنك في الركعة الثالثة والرابعة التي تكون القراءة فيها سرِّية لا تستطيع أن تكمل قراءة نصف الفاتحة، حتى تجده قد ركع، وهذا خلاف ما كان عليه النبي ﷺ.

فقد جاء في البخاري ومسلم عن البراء بن عازب ﷺ قال:" رمقت الصلاة مع محمد ﷺ، فوجدت قيامه، فركوعه فاعتداله بعد ركوعه، فجلسته بين السجدتين، فسجدته، فجلسته مابين التسليم والانصراف، قريبًا من السواء ".

وفى حديث حذيفة ﷺ وهو في صحيح مسلم:" أن النبي ﷺ قرأ بالبقرة، والنساء، وآل عمران في الركعة، قال حذيفة: ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربى العظيم، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمدهُ، ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريبًا من قيامه ".

وفى سنن أبي داود وابن ماجه ومسند الإمام أحمد عن عائشة–رضي الله عنها– قالت:" ويمكث في سجوده قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ".

والأئمة غير مطالبين أن يطبقوا هذا الحديث بالنص، فهذا يصعب عليهم وفتنة للناس، لكن عليهم أن يتمهَّلوا في الركوع والسجود وباقي الأركان"

الوصية الثامنة: إياك والتغنّي في دعاء القنوت:

لم يُنقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه – رضي الله عنهم– فيما علمتُ التغني بالدعاء، لا في القنوت ولا في غيره، فأخشى أن يكون ما استحسنه أكثر الأئمة في هذه الأيام محدثًا!!

(صحيح فقه السنة:392/1)

وقد قال ابن الهمام–رحمه الله–:"... لا أرى تحرير النَّغم في الدعاء– كما يفعله القرَّاء في هذا الزمان– يَصْدُر ممَّن فهم معنى الدعاء والسؤال، وما ذلك إلا نوع لعب، فإنه لو قُدِّر في الشاهد (أي في الواقع) سائلُ حاجة من مَلِكٍ، أدَّى سؤاله وطلبه بتحرير النغم فيه، من الرفع والخفض، والتقريب

والرجوع كالتغني، نُسب البتة إلى قصد السخرية واللعب، إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا التغنِّي ". اهـ (فتح القدير:370/1)

وقال أيضًا في" نفس المصدر:261/1":" ما تعارفه الناس في هذا الزمان من التمطيط، والمبالغة في الصياح، والاشتغال بتحريرات النغم – يعني في الدعاء– إظهارًا للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة بل هو من مقتضيات الرد ". اهـ

الوصية التاسعة: إياك والاعتداء في الدعاء:

فهناك من الأئمة مَن يتكلَّف، عن طريق انتقاء أدعية فيها تمطيط، وتطريب، وتلحين، وذكر أمور تفصيلية من أحوال الموت، والبعث والنشور، لتحريك عواطف المأمومين، وإزعاج جوارحهم، وانفجارهم في البكاء، والشهيق، والصراخ والعويل، وارتفاع الأصوات بالعويل والضجيج وهذا كله من الاعتداء في الدعاء، وهذا مخالف لقول رب العالمين: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف:55)

قال ابن جريج –رحمه الله– في تفسيرها:" من الاعتداء: رفع الصوت، والنداء في الدعاء، والصياح، وكانوا يؤمرون بالتضرع والاستكانة ". (تفسير البغوي:166/2) (وتفسير القرطبي:207/8)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن مغفل ﷺ أنه سمع ابنه يقول:" اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتُها، فقال: أي بني، سل الله الجنة، وتعوَّذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء ".

(صححه الألباني في الإرواء: 171/1)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أم المؤمنين عائشة–رضي الله عنها– قالت:" كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك ". (صححه الألباني في صحيح الجامع:4949)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن ابن لسعد بن أبي وقاص–رضي الله عنهما– قال: "سمعني أبي، وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة، ونعيمها، وبهجتها، وكذا... وكذا, وأعوذ بك من النار، وسلاسلها، وأغلالها، وكذا... وكذا، فقال: يا بني: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" سيكون قوم يعتدون في الدعاء، فإياك أن تكون منهم، إن أُعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير، وإن أُعِذْتَ من النار أُعِذْتَ منها وما فيها من الشر".

ومن الاعتداء في الدعاء:

1- أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات الشركية، كأن يُدعَى غير الله، وهو من أقبح أنواع الاعتداء في الدعاء.

2- أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات البدعية، كأن يُتوسَّل بذات النبي أو بجاهه، فهذا التوسل بدعي.

3- أن يسأل الداعي ما لا يليق به، كمن يسأل ربه منازل الأنبياء، وكمن يسأل ربه الوسيلة التي لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، كالوسيلة التي يرجوها النبي ﷺ وهي له.

4- التفصيل المملُّ في الدعاء: فالنبي ﷺ كان يحب الجوامع في الدعاء، ويدع ما سوى ذلك، قال الخطابي-رحمه الله-: وليتخير الداعي لدعائه والثناء على ربه أحسن الألفاظ وأنبلها، وأجمعها للمعاني؛ لأنه مناجاة العبد لرب العالمين، الذي ليس له مثل ولا نظير، والقرآن والسنة فيهما جوامع الدعاء. اهـ

فمثلًا تجد كثيرًا من الدعاة يقول:" اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وجداتنا وأخوالنا وخالاتنا وأعمامنا وعمَّاتنا" ويمضي في تعداد أقاربه، وينتقل إلى الدعاء لجيرانه وزملائه، في حين أنه يكفيه هذا لو قال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾(الحشر:10)

ومن الاعتداء في الدعاء أيضًا تكلف السجع:

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أنه وصَّى مولاه عكرمة-رحمه الله- فقال: " فانظر السجعَ من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب". وترجم البخاري لهذا الحديث عنوان"باب ما يكره من السجع في الدعاء".

وذكر الطرطوشي-رحمه الله- في كتابه "الحوادث والبدع ص: 157": عن عروة بن الزبير ﷺ أنه إذا عُرِض عليه دعاء فيه سجع منسوبًا إلى النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم-، قال: كذبوا، لم يكن رسول الله ﷺ ولا أصحابه سجَّاعين.

وكان بعض أهل العلم يقول:" ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ". (الإحياء:306/1)

قال الخطابي -رحمه الله-:" ويُكْره في الدعاء السجع، وتكلف صفة الكلام له ".

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد-رحمه الله- في كتابه مرويات دعاء القرآن ص:79:

الموقظة الثالثة في إيقاظ من يقنت في الوتر إلى التقيد بالوارد، وإن زاد على الوارد فليكن من جنس الدعاء المشروع في القنوت، آخذًا بمجامع الدعاء من الأدعية الواردة عن النبي ﷺ، وأن يترك الأدعية المخترعة المسجوعة المتكلفة ". اهـ

تنبيهان:

1- علمنا مما سبق أنه لا يُستحب التكلف في الدعاء، حيث يجعل التكلف الناس يهتمون بالنغمات في الأدعية، فيذهب الخشوع والخضوع، أما إذا كان السجع على اللسان سليقة وفطرة ومطاوعة بلا تكلف، فلا بأس بذلك ولا حرج فيه، وقد جاء في بعض الأدعية:" اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، وعلم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسْمع ".

" اللهم مُنْزل الكتاب، هازم الأحزاب، سريع الحساب، اهزمهم وزلزلهم ".

2- ينبغي على الداعي ألا يجعل همته مصروفة إلى تقويم لسانه- خصوصًا إذا كان إمامًا-؛ لأن ذلك يُذهب الخشوع الذي هو لب الدعاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الإعراب ألا يتكلف الإعراب"، قال بعض السلف: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع"، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس، فإن أصل الدعاء من القلب واللسان تابع القلب، ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه أضعف توجُّه قلبه ". (مجموع الفتاوى:22/489)

الوصية العاشرة: إياك والصراخ في الدعاء:

وهذا من المنكرات والبدع المحدثة.

قال الألوسي-رحمه الله- كما في" روح المعاني:8/139":" وترى كثيرًا من أهل زمانك يتعمَّدون الصُّراخ في الدعاء، خصوصًا في الجوامع، حتى يعظم اللفظ ويشتد، وتستك المسامع وتستد، ولا يدرون أنهم جمعوا بين بدعتين: رفع الصوت في الدعاء، وكون ذلك في المسجد ". اهـ

- وقد رفع الصحابة أصواتهم بالدعاء فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:" كُنَّا مع النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بالتَّكْبِيرِ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا علَى أَنْفُسِكُمْ[1]، إنَّكُمْ ليسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهو معكُمْ...". الحديث

وقفة: وتأمين المأمومين في الصلاة (قولهم: آمين) من الذكر الذي يُسنُّ الجهر به بقدرٍ يحصل به المقصود.

---

1. أربَعُوا على أنفسكم: أي: أرفقوا بأنفسكم، وهو أمر بالتوقف والمكث والكف.

قال العلماء:" حد الإسرار: التلفظ بتحريك اللسان بالحروف من مخارجها بصوت أقلَّه أن يُسمع نفسه. والجهر: هو التلفظ بتحريك اللسان بالحروف من مخارجها، بصوت يسمعه غيره ممن يليه، ولا حد لأعلاه ".

الوصية الحادية عشر: إياك والتطويل الزائد في دعاء القنوت:

وهذا من جملة المخالفات؛ لأنه قد يسبب بذلك الملل والسآمة لمَن يصلي خلفه. بل إن هذا لم يكن من هدي النبي ﷺ، فإن ما ثبت عن النبي ﷺ من تعليمه الحسن دعاء القنوت في الوتر يسير لا طول فيه.

– وللإمام أحمد في مقدار القنوت في الوتر ثلاث روايات:

الأولي: بقدر سورة " إذا السماء انشقت". الثانية: بقدر دعاء عمر ﷺ. الثالثة: كيف شاء.

والعلماء لا يختلفون أن القانت إذا كان إمامًا فعليه أن يتجنب التطويل الذي يشق على المأمومين.

وقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ لما أطال في الصلاة إطالة مفرطة:" يا معاذ! أفتَّان أنت؟ اقرأ بكذا، واقرأ بكذا ". (مسلم)

وعند البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:" يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير، والضعيف، وذا الحاجة ".

وعند أبي داود والنسائي أن الحبيب النبي ﷺ قال:" أنت إمام قومك، وأقدر القوم بأضعفهم ".

قال الإمام النووي–رحمه الله– كما في المجموع:3/479": قال البغوي:" يكره إطالة القنوت، كما يكره إطالة التشهد الأول ". اهـ

وسُئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله–عن بعض أئمة المساجد في رمضان يطيلون في الدعاء، وبعضهم يقصر، فما هو الصحيح؟

ج: الصحيح ألا يكون غلوًّا ولا تقصيرًا، فالإطالة التي تشق على الناس منهي عنها، فإن النبي ﷺ لما بلغه أن معاذ بن جبل أطال الصلاة في قومه غضب ﷺ غضبًا لم يغضب في موعظة مثله قط، وقال لمعاذ بن جبل:" أفتان أنت يا معاذ؟"، فالذي ينبغي أن يقتصر على الكلمات الواردة أو يزيد قليلًا لا يشق، ولا شك في أن الإطالة شاقة على الناس وترهقهم ولاسيما الضعفاء منهم، ومن الناس من يكون وراءه أعمال، ولا يحب أن ينصرف قبل الإمام ويشق عليه أن يبقى مع الإمام، فنصيحتي لإخواني الأئمة أن يكونوا بين بين، كذلك ينبغي أن يترك الدعاء أحيانًا حتى لا يظن العامة أن القنوت واجب في الوتر ". اهـ

خطأ يقع فيه بعض الأئمة:

فالبعض يستفتح في دعاء القنوت في الوتر ببعض المحامد الطويلة، ويتمادى في ذكرها بأسلوب يخرج به عن الأسلوب الإنشائي الطلبي المناسب لمقام الدعاء إلى الأسلوب الخبري المناسب لمقام الوعظ والترغيب والترهيب. الأمر الذي جعل البعض يخشى بطلان الصلاة؛ لاحتمال أن يكون له حكم الكلام المتعمد الذي لا يشرع في الصلاة.

ومن المعلوم أن الصلاة كلها حمد وثناء على الله، ودعاء القنوت يأتي بعد الرفع من الركوع الذي فيه تسبيح وتعظيم وحمد وتمجيد لله ﷻ، وبعد قول المصلي: "ربنا لك الحمد" فلا دليل على زيادة المحامد فوق ما شرع في هذا الموضع والله تعالى أعلم.

(عودوا إلى خير الهدي ص: 54 لمحمد بن أحمد إسماعيل المقدم –حفظه الله–)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك